

جائزة نوبل وموقعها في المحيط الأدبي

بقلم: ميخائيل ممو

mammoo20@hotmail.com

لمناسبة مرور ١١١ عاماً على جائزة نوبل في العاشر من شهر كانون الأول، ارتأينا أن نلقي نظرة على مسارها التاريخي من أجل النهوض بمستوى الفكر الإنساني إلى أعلى درجات التطور الحضاري من خلال السمو التقني في العديد من العلوم التي تخدم البشرية.



وهنا ينبغي القول بأنه عادة ما تُقدم مؤسسات الدولة الرسمية ذات الإختصاص من منح براءة الإختراع لإصحاب الإبداع الفكري في العديد من المجالات. ولكي لا يقتصر الأمر على مجالات الإبداع التقني تجاوز الأمر لتتضمن وتقيم الإبداع الأدبي أيضاً بإعتباره نابع من ذات المصدر المقصود المتمثل بالجهد الفكري. وبناءً لذلك أقدمت المؤسسات والمنظمات الثقافية والأدبية على تخصيص جوائز تقديرية للشعراء والأدباء المتميزين ومنحهم شهادات شكر وتقدير لجهودهم المتواصلة والنادرة في مجال اختصاصاتهم الأدبية شعراً ونثراً، كون إبداعاتهم لا تقل شأناً عما ينتشل البشرية من معوقات العصر لحياة مستقبلية أفضل. وبما أن فكر الإبداع الأدبي يتميز برفع المستوى الثقافي للفرد، ويعمد على صقل وتحسين الإثراء اللغوي وتحفيزه على استيعاب ما يتم تدوينه في كافة مناحي الحياة، إرتقى هذا الفكر إلى مصاف العلوم الأخرى التي تحظى بجائزة نوبل العالمية لتشملها أيضاً بإضافة صفة جائزة الحقل الأدبي إلى جدول العلوم المعرفية الخاصة بالمعرفة العلمية من خلال البحث والتفكير والتجارب التطبيقية التي تخدم البشرية جمعاء، حين حددها ألفرد نوبل في وصيته التي وضعها وأودعها في باريس بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٨٩٥، وتم فتحها وقراءتها يوم ٣٠ كانون أول ١٨٩٦ أي بعد عشرين يوماً من وفاته المصادف ١٠ كانون أول ١٨٩٦، حيث جاء في الأسطر المشمولة عن ثروته التي خلفها فيما يتعلق بتوزيع الجوائز على ما يلي:

" ... توزع الفوائد الناتجة في كل سنة بشكل جوائز يكافأ بها أولئك الذين قدموا خلال السنة الفائتة حسنات كبيرة للإنسانية، وعلى أن تقسم هذه الفوائد إلى خمسة أقسام متساوية توزع وفق ما يلي:

١. من قام باكتشاف أو إختراع الأهم في مجال الفيزياء.
٢. من أجرى إكتشافاً أو أحرز تقدماً متميزاً في الكيمياء.
٣. من أجرى الإكتشاف الأكثر أهمية في الحقل الطبي.
٤. من أنتج في الميدان الأدبي المؤلف الأكثر تمييزاً بإتجاه مثالي.
٥. من يحسن المساهمة في مؤاخاة الشعوب من أجل السلام.

وتجدر الإشارة هنا عن إضافة جائزة سادسة عام ١٩٦٨ في مجال الإقتصاد بتعزيد من بنك السويد لمناسبة مرور ثلاثمائة سنة على إنشائه.

ورب سائل يسأل من يرصد مبالغ تلك الجوائز بحجمها الكبير؟ كيف ولماذا؟

لنجيب وبإختصار، أن النبع الرئيسي هو ألفرد نوبل السويدي الأصل مكتشف الديناميت، بجمعه مالا طائلاً تم تقديره بعد وفاته بتسعة ملايين دولاراً أمريكياً، رصدها أثناء عمله في المجال الهندسي والكيميائي وحصوله على العديد من براءات الإختراع، يسرت له تأسيس العديد من المعامل الإنتاجية في العديد من الدول، ومن خلال تواصله الدائم في تجارب الإكتشافات شاءت الصدفة أن تودي إحداها بحياة أخيه الأصغر إميل نوبل وأربعة من العاملين ليعتريه الحزن من هذا الحدث المفاجئ ليغير من مجرى حياته متأملاً نتائج أعماله. بعد كل تلك الجهود المضنية جنى ثروة طائلة، وعلى مدى ثلاثة وستين عاماً من عمره استنتج أواخر أيامه بأن أعماله ستكون سبباً في تدمير الشعوب ومحو وجودها من على الأرض ليتيقن بحكمة إنسانية من أضرار ما توصلت إليه اختراعاته، رغم جدوى البعض منها في الأعمال الصناعية والعمرانية، ليحرر وصيته التي تضمنت مفاهيم إيجابية بغية أن يعمّ الخير والرخاء والسلام على البشرية بتخصيص مبالغ رصيده وفوائدها لمن يسعى بتقديم إنجازات تجدي البشرية في جميع أنحاء العالم. علماً بأنه توفي عازباً، ومنتقلاً بين روسيا وأمريكا والنرويج وإيطاليا وفرنسا بحكم مشاريعه المتواصلة، ولم يدع ما ورثه أن يكون من نصيب إخوته والمقربين له.

بعد مداوات دامت سنة ونصف إثر وفاته تم الإتفاق على إنشاء مؤسسة نوبل وبعدها بسنتين اي بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٠٠ اتخاذ القرار النهائي من قبل الحكومة السويدية على أن يتم توزيع الجوائز بإسمه بتاريخ وفاته المصادف ١٠ كانون أول من كل عام ، إبتداءً من الدورة الأولى عام ١٩٠١ والتي حظي بتلك الجوائز لأول مرة الألماني ولهم ك. رونتجن في الفيزياء، والهولندي جاكوب فانت هوف في الكيمياء، والألماني إميل فون بهرنغ في الطب، والشاعر الفرنسي سولي برودوم في حقل الأدب والسويسري هنري دونان في مجال السلام، وأول جائزة في الإقتصاد عام ١٩٦٩ للنرويجي رانيار فريش. أما عن قيمة الجائزة تفاوت حجمها تدريجياً لتصل اليوم بثمان ملايين من عملة الكرونة السويدية، أي ما يعادل ١,٢ مليون دولاراً أمريكياً، ليضاف إليها الميدالية الذهبية التي تزن ١٧٥ غراماً عيار ١٨ بقيمة ستين الف كرونة سويدية مع لوحة تذكارية لأشهر الفنانين.

بقي أن نكون على علم ودراية بمن حصل على جائزة نوبل الأصغر عمراً من بين الذين حصلوا عليها هو الإنكليزي وليم لورني براغ ، حيث كان في الخامسة والعشرين من عمره تقاسمها في الفيزياء مع والده عام ١٩١٥. ومن السيدات الكاتبة والصحفية توكل عبد السلام كرمان من اليمن البالغة من العمر ٣١ عاماً الحاصلة على جائزة السلام عام ٢٠١١ لمواقفها الجريئة في ساحة ثورة الربيع العربي الشبابية من موقع ترأسها لمنظمة صحفيات بلا حدود ونشاطات أخرى.

أما عن عدد الجوائز التي وزعت منذ تأسيسها وعلى ضوء بعض المصادر التي تشير لذلك فقد بلغت ما يزيد عن الثمناثة جائزة في كافة الحقول المخصصة لها، وقد تم حجبها في حدود ٣٠ مرة لبعض الإختصاصات لسنوات متفاوتة لعدم إقرار اللجنة المختصة للأكاديمية الملكية السويدية للعلوم والأكاديمية السويدية ومعهد كارولنسكا ولجنة نوبل للنرويجية الأسماء المرشحة،

إضافة لحجبها منذ عام ١٩٤٠ لغاية ١٩٤٢ بسبب أحداث الحرب العالمية الثانية والبالغة عددها ١٥ جائزة.

بقي أن يعلم القارئ اللبيب بأن هناك عدد من الذين رفضوا الجائزة لأسباب شخصية، ومنها لأسباب أملت عليها حكوماتهم، حيث منع هتلر ثلاثة من الفائزين بها لسنوات متفاوتة على عدم



استلامها، وموقف سلطة الإتحاد السوفيتي من الكاتب والشاعر بوريس باسترناك عن روايته الدكتور زيفاكو لنفذه النظام الشيوعي آنذاك حيث قال: (عليّ أن أرفض هذه الجائزة التي قدمتموها لي والتي لا أستحقها. أرجو ألا تقابلوا رفضي الطوعي باستياءً). كما وتم رفضها أيضاً من قبل بعض الأدباء والروائيين لمواقفهم الخاصة منها ومنهم الكاتب المسرحي الإيرلندي الشهير بسخريته جورج برنارد شو بقوله: (أنا أكتب لمن يقرأ وليس لأنال جائزة ، كما وإنني أغفر لنوبل أنه اخترع الديناميت ولكنني لا أغفر له أنه انشأ جائزة نوبل). أما الكاتب الفرنسي جان بول سارتر الذي منحت له عام ١٩٦٤ فقد تم رفضها معللاً رفضه بأنها سياسية وهي بمثابة صكوك غفران نوبل، وكذلك الفيتنامي لي دورك تو عام ١٩٧٣ للسلام معللاً رفضه بعدم تقاسمها مع السياسي الأمريكي واليهودي الأصل هنري كسنجر. وهناك أيضاً ممن دونت اسمائهم في قائمة الترشيحات لإبداعاتهم الأدبية لكنهم سبقوا أحكام وقرارات اللجنة المختصة بمنحها لهم، وعلى انهم سيقدمون على رفضها مباشرة بدلالة تصريحاتهم وكتاباتهم عن ذلك ومنهم الروائي والفيلسوف الروسي ليو تولستوي والكاتب الفرنسي جوليان غراك الذي منحت له جائزة غونكور الفرنسية وبقية جائزة نوبل تقريباً وأقدم على رفضها.

لكي نكون على مقربة من المفاجأة التي استبشر بها العالم هذا العام ٢٠١٢ من جائزة الأدب أن تكون من نصيب دولة الصين لأول مرة في ميدان الحقل الأدبي مضافة لمصاف جوائز الحقل العلمية الأخرى والسابقة لها، علماً بأن هناك كاتب صيني معارض كمواطن فرنسي بإسم جاو شينجيان كان قد فاز بجائزة نوبل للأدب عام ٢٠٠٠، إضافة لكاتب آخر معارض والمعتقل بإسم ليو شياوبو فاز بجائزة نوبل للسلام عام ٢٠١٠.



ومن الجدير قوله، أحياناً يخفي القدر ما لا يتوقعه الإنسان في حياته، ودون معرفة بما تنتظره من مفاجآت خفية. هذا ما حصل للروائي الصيني غوان مويه المعروف بإسمه المستعار مو يان البالغ من العمر ٥٧ عاماً، حين باغته مُعتمد الأكاديمية السويدية تلفونياً بتهنئته على الفوز وهو يتناول وجبة الطعام مع والده، ليتخلى عن قسبة الطعام

الصينية ويتلع أذنيه ليصيخ السمع من النبأ السار مجيباً: " اني أشعر بفرحة غامرة ومرتعب بدهشة من هذا النبأ الذي لم أكن أصدقه".

وعلى إثر هذا النبأ المُفرح لدرجة الإندهاش تواصلت وسائل الإعلام على نشره وبثه، وخاصة التلفزة الصينية ليتم في اليوم الثاني عقد مؤتمر صحفي مع مو يان ليصرح قائلاً: هذه هي حياتي محاطة بالفلاحين والمزارعين التي ألهمتني الثقافة الشعبية منذ الصغر، وحينما بدأت الكتابة بأدبي المحتوم والمُقدر نسجته من عهد طفولتي.

من هذا التصريح العابر يتضح بأن كتاباته مزجها ولونها بجذور الواقع الذي يعكس حياة المجتمع المُحاط بالفقر ويرزأ بمصائب العوز المادي والمعنوي. هذا ما أكدته لجنة الأكاديمية السويدية حين أشارت لدوافع اختياره " بمزجه القصص الشعبية والتاريخية والمعاصرة بواقعية تتسم بالخيال والواقع بين البعد التاريخي والإجتماعي". يطغي عليها صياغات اسلوب السخرية والتهمك بخيال استهزائي.

وبما أن معنى مو يان باللغة الصينية هو الصمت أي عدم القول، فعلى ما يبدو إتخذ من صمته طابع الكتابة للبلايا التي انتابته في عهد طفولته ليتعض بالمثل القائل: " شر البلية ما يضحك" ، كونه عاش حياة قاسية ومعدمة ألزمته على هجر مرحلة التعليم الابتدائي ليعمد مساعدة والده الفلاح والإنكباب على رعي قطيع الماشية. ومما يذكر أيضاً عن اختياره للإسم المستعار " الصمت " من جراء نشره لرواية " الفجلة البلورية " عن طفل يرفض الكلام ليروي الحياة الريفية والزراعية عما عاشها الروائي نفسه في مراحل حياة الطفولة والصبأ.

وفي محيط العالم العربي الذي ارتقت نفوسه الى الأربعمائة مليون نسمة وفق المصادر الرسمية، فقد حظي ست شخصيات على جوائز نوبل، أربع جوائز منها انحصرت في مجال السلام، منحت لأنور السادات سنة ١٩٧٨، وياسر عرفات سنة ١٩٩٤، ومحمد البرادعي سنة ٢٠٠٥ والصحفية اليمنية توكل كرمان سنة ٢٠١١، وواحدة في حقل الكيمياء للدكتور المصري الأمريكي الجنسية أحمد زويل سنة ١٩٩٩ والأخرى للكاتب والروائي نجيب محفوظ في الحقل الأدبي سنة ١٩٨٨ بإنابة ابنتيه على استلامها لأسباب تتعلق بالسفر المضني له متابعاً مراسيم الإحتفال من خلال التلفزيون المصري.



أربع جوائز للسلام حصدها شخصيات من العالم العربي، ولا زال الوطن العربي يتأوه ويئن من أوجاعه السياسية والإقتصادية والإجتماعية والدينية رغم المناداة العارمة بإنقاضات وثورات الإصلاحات الربيعية التي عُرفت بالربيع العربي بتواصلها التدريجي مؤخراً لتحقيق ما تصبو اليه، ليتحقق بالتالي الحلم الذي راود الحملات الشبابية على إسقاط وإزاحة بعض الأنظمة

الحاكمة في العديد من الأقطار العربية دون أن تطبق ما دعت اليه وناضلت من أجله، كونها الهبت نار صراع الفتنة الطائفية والمذهبية لتتلبد سماء تلك الدول بالغيوم الحالكة حزناً على أبشع الأحداث المروعة من الإنتهاكات والتجاوزات والإضطهادات المنبوذة في صفحات تعاليم الأديان السماوية ومبادئ حقوق الإنسان. أملين أن تتضاعف جوائز وأوسمة السلام لعل أصداء أجراسها توقظ مشاعر الشعوب العربية ويعم السلام الحقيقي بشروق شمس الحرية والديمقراطية والعدالة الإجتماعية بغية اجتثاث مفاهيم الرجعية المقيئة ومخلفات العصبية القبلية ليشعر كل فرد بأن دوافع اثنيته مصنونة وفق مبادئ مساواة حقوق الإنسان في العالم أجمع.